مواكب الناس

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

للاستاذ منصور جاب الله

الأستاذ نقولا يوسف كاتب مصور من الصفوة المختارة ومن الرعيل الأول الذين اقتحموا معمعان القصة المصرية فمهدوا طريقها وسلكوا حزونها وألفوا ضروبها وطامنوا أشتاتها ، وإنا لنجد هذا القاص الممتاز يضرب فى هاتيك المهامه البيد منذ حقبة تزيد على ثلاثين عاما لا يربع على شيء ولا يتعثر ولا يتلبث

ونقرأ فى صدر كتابه الجديد جريدة بمؤلفاته التى أصدرها منذ عام ١٩٢٢ ، فنرى فيه الكافح الثابر الذى لا يعنى جزاء ولا شكوراً ، فهو لا يلجأ إلى الناشرين أو الوراقين لطبع كتبه ، وإنما ينشرها لحسابه الخاص ويوزعها هدايا على الصدقان والصحاب وما بقى منها بعد ذلك لا يكاد يأتى بجزء ضئيل من تكاليف الإنتاج !

ولكن عزاء الأستاذ نقولا يوسف أنه يؤلف حبا فى التأليف وتنفيسا عن رغبة مكبوتة فى ذات نفسه ، ومن ثم فإنه لا يضار أن سبقه فى منادح الشهرة والمجد القصصى تلاميذ له وحواريون درسوا عليه أواسط العلم أو أعاليه ، فهو بهذا منتبط أن تهيأ لهذا النفر من الشباب المتوثب طريق شقه لهم فساروا فيه

ولا على المؤلف الفاضل هذه النفقات الطائلة التى يخرج عنها لطبع مؤلفاته ، فإنما هى ضريبة المجد والخلق الفاضل الذى طالما غرسه فى نابتة هذا الجيل

وبعد هذه التوطئة التى لم يكن منها بد ، يطالعنا الأستاذ نقولا يوسف بمؤلفه الجديد « مواكب الناس » وإذ نتصفحه ونمضى فى قراءته إلى خاتمة المطاف يبدو لنا أن هذا الرجل ذا القلب الكبير يطوى بين جوانحه مأساة ، فقد ضربه القدر فى ابنته التى كانت ملء نفسه وريحانة عينيه فأظلمت الدنيا فى وجهه وأخذه الرعد من كل مكان فإذا به يعمد إلى مسلاته الواحدة ، وينشئ « الصورة » تلو « الصورة » ثم يلزمها جميعا فى قرن ، حتى إذا أقبل الصيف بهجيره لم يرق له أن يستمتع بإجازته الطويلة كما استمتع سائر أنداده من المدرسين ! وإنما عكف على تنفيذ هذه « الصور » وإزجائها إلى المطبعة فهو غاد ورائح بين آلة الطباعة وباعة الورق وتصحيح التجارب وهكذا ، وما صرف صيفه الأطول على ذلك النمو إلا ليصرف عن نفسه أحزانها وأشجانها

ولقد كررنا كلمة « الصور » التى احتواها « مواكب الناس » عن عمد ، ذلك لأن هذا المؤلف الأخير يختلف تمام الاختلاف عن مؤلفه السابق « دنيا الناس » الذى قدمناه لقراء « الرسالة » قبل عامين فذلك كان أقاصيص فيها « حبكة » القصة ولها « عقدتها » تنساح بين أرجائها « المؤامرات » ويرين عليها عنصر « المفاجئات » بيد أن هذا الكتاب الذى بين أيدينا قد صدق فيه مؤلفه إذا أطلق عليه عنوانه ، فهو « مواكب » للناس تتلاحق ، وتتسابق ، ثم تسير على وتيرة واحدة حتى تفترق بها الطرق وتفرق عن سبيله ، وهو فى هذا يقول : لما فرغت من هذه « الصور » التى تحتويها هذه المجموعة ، استعرضتها جملة فاتضح لى أن أصحابها شخصيات

ابتدع فى الصحافة المصرية لونا جديدا .. ذلك اللون القائم على السخرية والتبكيت ، وهو الذى حور أخيرا فى صور الكتابات النقدية السياسية التى تقوم عليها معظم المجلات الأسبوعية !

أما شوقى فالحديث عنه طويل .. بقدر ما أدان العربية والشعر من دين وصفه أستاذنا الكبير الزيات عند ما قال إن شوقى كان تعويضا عادلا للعربية منذ قضى المتنبى .. ولكننا ونحن الآن نسمع قصائده تغنى ، وشعره يتردد على كل لسان ، ونذكر فضله فى ابتداع المسرحية الشعرية فى الأدب الحديث ... ندهش حين نرى أن عملا ما — يدل على التقدير — لم تقم به أى هيئة أو طائفة .. أين مثلا كرسى شوقى فى كلية الآداب ، أو أين مكانه فى دار الكتب ، أو تمثاله فى ميدان يطلق عليه اسمه !! أو الكتاب الضخم الذى وضع عن فنه وشعره

أما « أناتول فرانس » فلسنا فى حاجة إلى الحديث عنه فإن المؤلفات والآثار الأدبية التى تناولته فى جده وهزله وفنه .. أكثر من أن تحصى

أنور الجندى

حقيقية ، عاشت وعرضت لى فى الحياة فعرفتها ، ولهذا لم يكن لى كبير فضل فى ابتكارها ، وإنما الفضل لمن خلقها على هذا النحو ، تارة على بساطة وبراءة وأخرى على شىء من الغرابة والتعقيد ، فكان عملى — والحالة هذه — مقصوراً على نقلها من دنيا الواقع إلى دنيا الفن دون أن أبدى إعجابا هنا أو زراية هناك

انتهى كلام المؤلف فى كتابه الجديد فى حين أنه يحاول الاحتراس فى كتابه السابق بقوله « كل ماورد فى هذا الكتاب من أسماء الأماكن والأشخاص خيالى ولا يصف شخصية معينة بالذات ؛ فمزجو المعذرة إذا وقع تشابه غير مقصود بين الأسماء أو الصفات أو الحوادث »

فالكاتب الفاضل إذن قد حدد النهج فى كتابيه وفصل بينهما بحجاز ، ومن هنا نتقبل «مواكب الناس» على أنه طائفة من الصور الأخلاقية الاجتماعية أعمل المؤلف ذوقه وفنه فى اقتناصها وتجليتها على القارئين ، فبدت كواسطة العقد تختال للناظرين

وإن قارئا من القراء مايستطيع إذ يستطلع « مواكب الناس » أن يستريب فى أن صورة أو أكثر من صورها شكت بصره أو ضربت أذنه فى زمن من الزمان أو مكان من المكان ، ولكن ليس لكل إنسان تلك الطبيعة النقية المتساوقة التى جعلت الفن القصصى طيعاً ليناً بين أنامل السيد نقولا يوسف ، فهو يصور الواقع بريشة الفنان الذى يرى ويسمع ويتذوق ثم ينقل على القرطاس صوراً لا يكاد يتلوها القارئ حتى يرى فيها نفسه لا تريم ولا تتحلحل !

والطريف فى المؤلف أنه نقل صوره نقلا « مصريا » إن صح التعبير ، فعلى أنه يتقن أكثر من لغة أوربية ، لم يشأ فى كل هذه الصور — حتى التى وقعت له فى أوربا — لم يشأ أن يصورها تصويرا أوربيا ، وإنما صورها كما يفهمها « أولاد البلد » ! وقد بلغ من هذا القمة فى التصوير والنقل الأمين

وليس لدينا فى الحق نقد على هذه الصور إلا أننا بصرنا فى بعض الأحيان بالكاتب يتحامل قليلا على بعض أبطاله ، ولعل ذلك ناجم من أنه رجل مثالى رغم أنه خب فى القصص الواقعى ووضع ، وأنه لم ينس مثاليته وإن تضاربت مع الفن الذى سلكه من زمان !

وإنا لنرى الكاتب بعد ذلك يحلق — فى بعض الصور — بأسلوب عال ، ثم يهبط بعد ذلك — فى صور أخرى — إلى أسلوب عادى ، ولعل مرد هذا أن الكاتب الفاضل عصبى المزاج لا يلق أهمية كبيرة للأسلوب القصصى كما أومأ فى مقدمة كتابه الفريد

منصور جاب الله

النيل فى ضوء القرآن

تأليف الأستاذ أحمد الشرباصى

للأستاذ سعد الدين موسى كله

وهذا كتاب جديد فريد يحتل مكانته اللائقة به فى صفوف المكتبة العربية الخالدة ! أجل هو جديد فى نوعه — فريد فى بحثه وعرضه ! ولم لا وقد تعرض فى صفحاته الرائعة المتعة إلى قضية النيل ودراسة هذا النهر « المبارك الروحات ، الميمون الغدوات » كما قال « عمرو » على ضوء القرآن الحكيم بعد أن قدم له بمقدمات تمهيدية ، من جهة اللغة العربية والتاريخ ، كما لم يفته أن ذكر لنا « النيل » عند الشعراء وفى مخيلتهم ، وكيف أجادت تصويره قرائحهم فافتنوا فى ذلك افتنانا عجباً ؟ ! وليس غرضى من هذه الكلمة العجلى التدقيق والتحقيق أو التفصيل والتحليل « فلذلك موعد آخر » إنما هو العرض السريع والسير الحثيث مع المؤلف أرجو أن أوفق فيه إلى جنب أنظار قراء الأدب ومحبى الحكمة وعاشق الثقافة لمطالعته لنفاسته وللافادة منه خاصة ، وهو نفحة عاطرة من نفحات « القلم الشرباصى » الرشيق الرقيق الذى ما فتئ كل يوم يطلع علينا بآلائه وبواقيته العذارى الأبكار ، وغرره وورود الزواهر المشرقات كفلق الصبح أو وضح النهار !

والكاتب اللبق ، والأديب الحق فى رأيى — هو من يغوص فى أعماق الحقيقة فيبتكر لنا من أخيلته الشاعرة وذهنه الولود أفكارا وآثارا ، وأقباسا وأنوارا ، ناقضا بقدرته وعبقريته تلك النظرية القديمة البالية . « لا جديد تحت الشمس » ! وكذلك فعل الشرباصى هنا فبدأ ببيان اشتقاق كلمة النيل فى اللغة ومصدر النيل فى زوايا التاريخ ، منتقلا بنا إلى ندوة شعرية جميلة ، ناقلا لنا مختارات بديعة فذة — تدل على ذوقه البليغ — واختيار المرء قطعة من عقله ! ويطوى الحديث سريعا ليخلص إلى السنة والكتاب ، مستعرضا بعض الأحاديث والآيات فى براعة ولباقة وتعقيب ودقة ، ويبدع الشرباصى أيما إبداع حينما يتحدث عن

مصر وفرعون فى القرآن ثم عن بعض الرسل فى مصر كيوسف وموسى عليهما السلام، مطعماً حديثه بآثار وروايات عن الصحابة والأئمة والمؤرخين فى تمجيد « النيل » « ومصر » التى هى هبة « النيل » كما جاء عن «هيردوت» المؤرخ اليونانى القديم.. وهذا فصل من فصول الكتاب تحت عنوان — خيرات الوادى — يستعرض فيه غلات مصر وزهورها وحبوبها ونتاج أرضها المباركة الخصيبة بفضل هذا الشريان الطاهر القدس الذى يجرى فى أوصالها وأعراقها منذ فجر التاريخ، وفصل آخر يعقده المؤلف عن ميزات النيل ووديه وهو ملئ بالنوادر الفردة والآثار التاريخية والنصوص الأدبية والروائع المتعة مما أنتجته عقول الأدباء والكتاب والرواة — وددت لو نقلته لك بأكمله — ولكن من الخير لك أن تنفرد به وحدك فتتذوقه بنفسك وتتملاه بذوقك « ومن ذاق عرف ! »

وبعد فهذه صفحات أخرى تسير بك فى إبداع وإمتاع، وفيها إهابة بنى مصر أن يهبوا، فقد طال بهم الرقاد ! — إن النيل يفى لنا فى كل عام، لا يتخلف عن الجريان مرة ! — أفلا نكون معه أوفياء ! و « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ! » قد يمسك النيل فيضه قليلا أو رويدا، ولعله يراد بذلك أن ننتبهوا ونعتبروا، ونقدروا النعمة حق قدرها ؛ وقد يزداد فيضه ليحذركم وينذركم، ويخوفكم من انقلاب النعمة نقمة ! فأين الاعتبار يا أولى الأبصار ؟ !

ألا ما أبلغ هذا الكلام وأجله ! أما واجبنا نحو النيل فيجليه لنا يراع الكاتب الموفق جلاء واضحا فى بنود عدة بلغت « الثانية عشرة » ! وأخيرا .. نجد أمامنا « ملحقات » : النيل فى القرآن، أساس الوحدة هو الإسلام « وجعلنا من الماء كل شئ حى » وهى ثلاث خطب منبرية عصرية، جمت فأوعت من الحديث الواعى الحصيف، والاطلاع الوفير، والأدب المستنير الغزير !

ألا حيا الله أستاذنا الشرباصى، ووفقه دائما لخدمة الإسلام والقومية والعروبة، وجزاه عن دينه ووطنه وأمته ولغته خيرا !

سعد الدين موسى كلاه

الرواية تعود، والرسالة تتجدد !

فى نوفمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب، وحسن اختيار، ودقة ترجمة، وفخامة مظهر

وفي يناير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى، فى الشكل، والموضوع، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة